

المنطق، والذين كان لهم الفضل في نشر الإسلام دون قتال بين شعب صنغي في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي .

وعندما سقطت دولة غانا وقامت على أنقاضها إمبراطورية مالي الإسلامية قامت حروب بين مالي وصنغي بهدف تكوين وحدة إسلامية، كان من نتائجها أن امتد نفوذ مالي ليشمل صنغي، لكن صنغي استطاعت أن تسترد سلطانها في عام ١٣٧٥م، وأصبح ملوكها يحملون لقب سنيّ . وفي عهد سني علي الكبير - أحد ملوك صنغي - بدأت صنغي خطواتها نحو تكوين إمبراطورية عظيمة عام ٨٦٨هـ / ١٤٦٤م، وانتهت إمبراطورية صنغي عام ١٠٠٠هـ / ١٥٩١م، عندما قتل الإمبراطور أسكيا نوح في معارك قادها ضد مراكش .

قد شمل سلطان دولة صنغي كل الأراضي التي تحيط بمنحني نهر النيجر، وبسّط نفوذها في سهول غربي إفريقية، فشملها جميعاً، واستطاعت أن تخضع مدينة جني عام ٨٧٥هـ / ١٤٧٠م، التي كانت قد استعصت على إمبراطورية مالي . كذلك أخضعت مملكة موشي الزنجية، والتي سبق أن استعصت على إمبراطورية مالي كذلك . وتقدمت شرقاً فهاجمت بعض إمارات الهوسا، وأخضعت كاتسينا وجور وكانوا وزنفرة وزاريا، واستولت على بلاد الماندنجو والفولاني غرباً، وبلغت مواطن الطوارق شمالاً، فلم تقنع صنغي بما كان تحت سلطان مالي، وإنما امتدت إلى أكثر منه، وخصوصاً في النواحي الشرقية والجنوبية، ودخلت مناطق وسط إفريقية .

واستطاع أسكيا محمد - أحد أباطرة صنغي - أن يكسب رضا الخليفة العباسي ،
فجعله خليفة له في أرض صنغي .

وكانت مدينة جاو عاصمة صنغي ، وكانت أيضاً تعرف باسم كوكو ، وكوتيا ،
وكافي ، وجاغ . وقد تحدث عنها الكتاب بصفتها «أعظم ممالك السودان وأجلها
قوراً ، وأعظمها أمراً ، وكل الممالك تعطي ملكها الطاعة ويقرون له بالرياسة» .

وتقع جاو على الضفة اليسرى لنهر النيجر على بعد نحو ٤٤٠ كم من تمبكتو ،
وهي الآن إحدى مدن جمهورية مالي . وبلغت جاو قمة مجدها في عهد أسكيا
محمد ، وظلت المركز السياسي للسودان الغربي فترة طويلة ، ثم تدهورت مكانتها
مع تدهور سلطة صنغي بالغزو المراكشي .

وكان الصراع بين المغرب وصنغي نذير نهاية دولة صنغي ، ذلك الصراع الذي
كان من نتائجه أن أعلنت الأقاليم المختلفة في دولة صنغي استقلالها وخروجها
عن الطاعة ، فتمزقت دولة صنغي .

كانت مصادر الثروة في دولة صنغي تقوم على مناجم الذهب والملح ، فصلاً
عن سيطرتها على طرق التجارة الرئيسة بين الشمال والجنوب . وكانت مملكة
صنغي أكبر وأعظم من مملكة مالي ، وكانت تضم مناطق ذات أجواء ومحاصيل
أكثر تعدداً مما كانت عليه مالي ، فتدفق الثراء على حكومة صنغي وشعبها بسبب
خصب التربة ، وبسبب سيطرتها على طرق التجارة .

وكان جيش صنغي من أحسن الجيوش في عصره تنظيمًا وتدريبًا وتسليحًا، فشهد العالم الإسلامي دولة عظيمة الشأن، عالية السلطان، ومن أسف أن تأتي نهيتها على أيدي جماعات تنتمي للدين نفسه، متمثلة في الجيوش المراكشية؛ فقد أرسلت مراكش إلى صنغي - حسب الروايات التاريخية - ٢٣,٠٠٠ جندي في المثلث ما بين ٩٩٩هـ / ١٥٩٠م - ١٠٢٧هـ / ١٦١٨م، ندر من عاد منهم إلى المغرب بعد ذلك، بعد أن قضى على عشرات الألوف منهم ومن رجال صنغي، فضلاً عن أنها كانت السبب في توقف النشاط التجاري وإحلال القلق محل الأمن.

انتهت دولة صنغي على يد المغاربة، وكان ذلك في موقعة فوندلي على بعد ٥٠ كم شمال جاو في ١٠٠٠هـ / ١٥٩١م.

لا وجود لصنغي على خريطة غرب إفريقية حالياً بعد أن وزعت أراضيها على مالي وغينيا وموريتانيا.

في عهد سلطنة صنغي عمرت مدينة تمبكتو وازدهرت، حتى بلغ صيتها بالغنى والأمن ووفرة الذهب بلاد أوروبا، فتوافد عليها العلماء، وانتشر التعليم بين أهلها، حتى أصبحت الكتب العربية أعظم المتاجر، حتى قيل: «إن مرباح تجارة الكتب فاقت مرباح تجارة الذهب».

وكانت المصاحف والكتب الدينية والأدبية موضع فخر الناس، وكانت ثروة الرجل ومكانته تقدر بعدد الكتب في خزانته وعدد الخيل في مرابطه.